قراءة تحليلية في قصيدة "سفوح الكلمات والدمع النازل" للشاعر العراقي صباح عنوز

م.م. علي صادق جعفر

جامعة الكوفة/ كلية الفقه/ علوم القرآن الكريم

An Analytical Reading of the Poem (Margins of Words) by the Iraqi Poet Sabah Annooz

Asst. Lecturer. Ali Sadiq Jafar

University of Al-Kufa / College of Jurisprudence / The Holy Quran Sciences

Abstract

What is the relation between the author and the text? Is the literary text to be considered an equal entity to the author's intention? Is it possible to fathom the author's mentality via the analysis of his creative text? If we submit primarily that there is a close connection between the author and the text, yet it is not possible to know the whole meaning of the text as its author wanted it because the language, though expressive, does not reflect the whole mental image.

المقدمة

ماهي العلاقة بين المؤلف والنص؟ وهل يُعد النص الأدبي كيانا مساويا لقصد المؤلف؟ وهل من الممكن النفاذ إلى العالم العقلي للمؤلف من خلال تحليله للنص المبدع؟ فإذا سلمنا ابتداء بوجود مرجعية وترابط بين المؤلف والنص على اعتبار أن النص تجربة وشعور ممتزج بالفكر – وهذا هو واقع الحال بعيدا عن التعسف وأحادية التصور – فأننا مع ذلك لايمكن أن نسلم بإمكانية استحضار مجمل معنى النص كما أراده صاحبه؛ فاللغة مهما استطاعت التعبير عن معنىً ما فان تعبيرها هذا يبقى عملية بعدية للتصور الذهني؛ بمعنى أنها لايمكن أن تنقل إلى المعنى العام عبر مفرداتها ودلالاتها المجازية التي جرى تواضع الناس عليها بالمجمل وليس بالحصر على التحقيق. ثم أن التلازم بين المعنى وبين مبدعه متأتٍ من أن فهم النص الإبداعي رهينُ ملازماتٍ نفسية وتاريخية شاركت في إنشائه؛ وبالتالي يبقى حضورها فيه قيمة قصوى على صعيد التجربة وعلى صعيد فهم دلالات المعنى. وليس في صالح النص تغييب هذا الحضور فتغييبه يعني ابتسارا للمعنى ألأصلي للنص وربما التعبير عن تجربة أخرى قد لا تتوافق مع تجربة المبدع ذاته.

اهداف البحث:

التعرف على طبيعة العلاقة بين المؤلف والنص في قصيدة "سفوح الكلمات والدمع النازل من ديوان" ما دونته نور على خد العذراء" وكيف نقيسها؟ ثم ما هي إمكانية الفهم الموضوعي؟ أي فهم النص كما فهمه مبدعه أو كما أراد أن يفهمه الآخرون على ألأقل. هذه مجمل الأسئلة التي يثيرها الدرس الهرمنيوطيقي الحديث قبالة معضلة التأويل. التأويل الأدبي الذي يعد طريقة للكشف عن مخبوء في ما وراء اللغة للوصول إلى معنى يحتمله النص، بمعنى أنه عملية معرفية قبل أن يكون ممارسة نقدية أو لغوية بحتة، وبهذا يكون له جدوى تواصلية مع النص بمنأى عن أي نزوع ذرائعي يهدف إلى تجنيد النص لأي غايةٍ كانت1. والتأويل مهما هدف لأن يكون قراءات داعية لانفتاح مخصوص بتحرير النص من علائق القراءة التاريخية فأنه يبقى فيه الكثير من ذاتية القارئ، ويبقى فيه الكثير من ذاتية الكاتب أيضا والتي لايمكن فصلها عن سياق النص، على عكس ما يرى گادمار: Gadamarالذي أسهم في تحطيم إطار المعنى الموضوعي إلى حد بعيد بمساندته فكرة الاستقلال الدلالي للنصوص2، تلك الفكرة التي تعني أن اللغة المكتوبة ستظل مستقلة عن العالم الذاتي لأفكار الكاتب، ولهذا فهو يلغي الحقيقة التجريدية للنص؛ ليصوغ لها حقيقة مستجدة عبر فهم المتلقي التي قد تختلف كثيرا مع ما تصوره أو أراده المؤلف. لكن گادمار نسي أن الحقائق لاتقبل التعدد والتجزئة على الدوام. ومع هذا فإن النزوع التاريخي ليس الأساس في فهم النص كما أن اعتماد مرجعية اللغة بمفردها أيضا قاصر على إدراك المعنى؛ فاللغة ذات أساس تجريدي من حيث المبدأ، والكلمات مصوتات دالة على كيان ساكن إلا إذا إقترنت بملازمات أخرى تكشف عن منحاها

الدلالي عبر التأليف والنظم وما له من ملازمات اللغة لفهم النص منها المنحى التاريخي وحضور خيال المتلقي وثقافته وذوقه؛ فهذه العناصر مجتمعة تشكل مجمل عملية التأويل الذي يعطي للنص ولصاحبه حضورهما وتقييميهما الحقيقي3. لذا فإن التأويل عملية حرة ومنضبطة في آن واحد. ومرجعية اللغة ضابط للمؤلف وللمؤول كليهما؛ بمعنى أن المؤلف عليه الالتزام بما تفرضه اللغة من دلالات تجريدية بادئ ذي بدء، فهو بممارسته الكتابة بها يكون قد نزل عند التواضع اللغوي الذي شكل احد أكبر مكوناتها. وبنزوله عند هذا التواضع يكون قد كون لنفسه ولنصه حصانة لازمة له وللقارئ4، لكن حرية المؤلف وسعة حركته تتأتى من نظم النص الذي أفاض عبد القاهر الجرجاني بالحديث عنه؛ وهذا النظم هو ما يتجاوزه الكثير من المنظرين في مجال النقد التأويلي على الخصوص فيقعون ضحية التجزئة في فهم وتحليل الأحوال والحقائق. وتأتي السعة أيضا من الصور الفنية وما تستحضره من مجازات وكنايات واستعارات ورموز تشكل بمجملها انحرافا وانزياحا عن الدلالة المباشرة للغة. فالمؤلف ليس مقيدا بالتزامه بمرجعية اللغة تقيدا آليا؛ فما يرغب فيه من انزياحات وانحرافات ورموز ومجازات أمر ممكن بحضور هذه مرجعية اللغة. ويرى شيلرماخر أن اللغة تحدد للمؤلف طرائق الأسلوب الذي يسلكه في التعبير عن فكره ابتداء5؛ لكن المؤلف من جانب آخر يعدل من معطيات اللغة وهو لا يغير اللغة بكاملها وإلا صار الفهم مستحيلا، هو فقط بامكانه تعديل بعض معطياتها التعبيرية ويحتفظ ببعض معطياتها التي يكررها وينقلها وهذا ما يجعل عملية الفهم ممكنة في الحد الأدنى من التواضع الدلالي بين الناس. وهذا يتشكل بين القارئ وبين المبدع شراكة تضمن لكليهما التواصل البناء وصيانة النص عن سوء الفهم. وفيما يأتي قراءة في قصيدة الشاعر د. صباح عنوز؛ يجري فيها التحليل على وفق ما مر أنفا من اعتبارات وملاحظات. هذه القراءة قد لاتفي بما يستحقه النص لكنها على أية حال سياحة في آفاقه ومضامنه.

التمهيـــد

1-النص والسياق:

آ- حول الشاعر :

الدكتور صباح عباس جودي عنوز (العراق).

- ولد عام 1959 في النجف.
- حاصل على دبلوم في التربية وعلم النفس، وبكالوريوس في اللغة العربية، وماجستير ودكتوراه في البلاغة العربية والنقد الأدبي.
- عمل مقررا لقسم اللغة العربية ورئيسا للقسم في كلية التربية للبنات ومديرا لمركز دراسات الكوفه ومعاون لعميد كلية الدراسات الاسلامية فعميدا لها.
- عميد كلية الفقه من 2004م-2011م
- عضو في العديد من الجمعيات والاتحادات، مثل اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، والاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، والمكتب التنفيذي لمنتدى الأدباء الشباب في العراق، ونقابة المعلمين، كما شغل مناصب إدارية في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- مدير مركز دراسات الكوفه.
- عميد كلية الفقه جامعة الكوفه.
- بدأ نشر قصائده عام 1977 في صحيفة الراصد العراقية ثم واصل النشر في العديد من الصحف والمجلات العراقية والكويتية والتونسية والسعودية والمصرية.
- شارك في مهرجانات شعرية عديدة أهمها مهرجان المربد.
- دواوينه الشعرية: سأعير عينيك انتظاري 1991- ثلاثة أوقات للمطر الأرضي 1993، ما دونته نور على خد العذراء، عندما تتمتم عيون المغفره...

- مؤلفاته: الأداء البياني بين القدامى والمحدثين– أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، الأداء البياني في شعر علي الشرقي، الصورة الفنية بين حسيتها وايقاع المعنى، الصورة الحسية في الشعر الحسيني، إيماءة الهمس دراسة نقديه، الأداء البياني في لغة القرآن، تأويل النص القرآني.
- نشر عنه العديد من الأبحاث والمقالات النقدية في (الثورة) اليمنية ومجلة الطليعة، وجريدة العراق وغيرها.
- كتب عنه نقاد عراقيون وعرب واجانب..
- وردت ترجمته في معجمات علمية وعربية وعراقية بحدود احد عشر مؤلفا.

ب– حول النص :

1– **مصدر النص:** تعتبر" سفوح الكلمات والدمع النازل " احدى القصائد التي تضمنها ديوان " ما دونته نور على خد العذراء"، صدر عام 2005م، رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 243لسنة 2007م. تمحورت قصائد هذا الديوان حول بنيتين أساسيتين هما: اليقظة والحلم لذا جاء هذا الديوان معبرا عن مرحلة من مراحل حياة الشاعر المهمة والتي يقول عنها: "... هذه مجموعة شعرية حجبت بعض قصائدها عن الضوء بحجة ضبابيتها، لكنها كانت نبضي المتدفق وجعا، وكلما مستني كف الضجر هرعت الى قراءتها واعادتها مرارا كي اتسلق وحدتي واحاور قلقي في زمان ومكان غادراني، ولأني انتهيت الى أن القلق لا يستريح إلا في تدويني... لذا آثرت ان اسميها (ما دونته نور على خد العذراء كي يستريح القلق....)6.

2– نوع النص: النص من الناحية الفنية هو صوره لقصيدة النثر التي تعد استجابة للتحولات الفنية والشكلية التي طرأت على الشعر العربي في هذا العصر، وتعد قصيدة "سفوح الكلمات والدمع النازل" خير تمثيل لما آلت إليه قصيدة النثر على وفق نموذجها القادر على التأثير في المتلقي وإغناء تطلعاته إلى الجمال الشعري.

3–موضوع النص:

يندرج النص من حيث الموضوع في شعر **الوعظ والاعتبار والتوصية والتذكير** وكذلك يمكن ان يصنف ضمن مواضيع الصراع، صراع الذات مع الآخر وصراع الذات مع الذات وكل ذلك مأطر بلبوس فلسفي تحكمه قيم وقواعد دينية اذ إن ذات الشاعر تكشف من خلال عنوان القصيدة "سفوح الكلمات والدمع النازل" وهو (العتبة النصية)7 الأولى التي توصل لنا الرسالة الشعورية عن الغاية، فيكون قول الامام عليه السلام هو مفتاح الرسالة التي يريد الشاعر ايصالها الى المتلقي /المرسل اليه.

4–مستوى الفهم:

– قراءة في عنوان النص: " سفوح الكلمات والدمع النازل "

1– على مستوى البنية: جاء العنوان في صيغة جملة اسمية استكملت عنصريها الرئيسين وفي ذلك دلالة واضحة على ان الشاعر قد حرص كل الحرص على ان تكون بنيته الموضوعية متكامله.

2– على مستوى الدلالة: تتوزع العناصر المشكلة للعنوان وفق نموذج تواصلي، يكشف على مدى حرص الشاعر لتعميق هذا النموذج وجعل القصيدة برمتها تتحرك في نطاقه. وتتضح معالم هذه الإرسالية كالآتي:

المرسل موضوع الرسالة ـ المرسل اليه (سفوح الكلمات والدمع النازل الالالنازل)

وتوحي هذه الدلالة التواصلية بمدى حاجة الشاعر إلى تعميق الارتباط الروحي والمعنوي بـ: "سفوح الكلمات والدمع النازل" هذه الكلمات هي كلمات الأمام علي عليه السلام «أيّها الناس كلّ امرئٍ لاقٍ ما يفرّ منه في فراره»8.

إنّ هذا الكلام قاله (عليه السلام) لمّا ضربه ابن ملجم المرادي عليه لعائن الله، وهو مسوق في معرض الوعظ والاعتبار والتوصية والتذكير، فحذّر الناس ونبّههم على لحوق ضرورة الموت المنفور منه طبعاً، فإنّه لمّا كان الإنسان دائماً فارّاً من الموت ومتوقّياً له، فكان لا بدّ منه، لا جرم كان ضروري اللقاء له في فراره، والأجل قد يراد به غاية الحياة الدنيا كما قال تعالى: «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ» [9] وقد يراد به المدّة المضروبة للقاء الإنسان وهي مدّة

عمره، وإيّاه عنى (عليه السلام) بقوله: «الهرب منه . أي من الأجل . موافاته»10 وذلك أنّ الفارّ من الموت مثلاً بالحركات والعلاجات ونحوها تستلزم حركاته في ذلك فناء الأوقات وتصرّمها، وقطع تلك الأوقات مستلزم لملاقاته وموافاته.

5- بؤرة النص:

البوح هو اللحظة التي يكتمل فيها المشهد حينها سنعرف ما الذي تقوله الكلمات حينما يكون البوح حاضرا، ففي حضرة الشعر يتلاشي الحجاب، ويُفضح السر ويستريح القلق، فلا معنى للكتمان حينها وتتكشف كل الحجب فما معنى البوح في حضرة الغياب؟، لقد كسرت كلمات الأمام علي عليه السلام كل غياب، وهذا ما يفسر لنا سبب استعمال الشاعر(التناص) 11 من خلال الية الاستدعاء بوساطة القول.

فبؤرة النص تتشكل حول قول الأمام علي عليه السلام، وهو مسوق في معرض الوعظ والاعتبار والتوصية والتذكير، من جهة وبين الصراع المرير والذي يصفه بالقلق المستمر من جهة اخرى، لذا كان واضحا ان النص ذات اتجاه فلسفي ذو نزعه دينية.

بعد ان قدم البحث قراءة أولية حول النص، ينتقل البحث الى القراءة التحليلية للنص.

المبحث الاول: المستوى الصوتي:

المتتبع للبناء النظمي للقصيدة يجد بناءً فنيا يعكس المظهر الصوتي الخارجي للقصيدة ويمثل ذلك وفاء فنيا لنموذج قصيدة النثر التي قدمت رؤية جديدة على مستوى جمالية اللغة الشعرية، تركز فيه على(الأثر) الذي تخلقه القصيدة وتتركه في تلقي قارئها،والذي يتحقق بطرق عديدة يعد الإيقاع الداخلي أحدها12.

عندما نتفحص قصيدة " سفوح الكلمات والدمع النازل "، من خلال عمل مقاربة إحصائية وتحليل احصائي للحروف التي تكررت فيها _بدء من عنوان القصيدة حتى نهايتها_ نجد ان النص هو وحدة متكامله صوتية شمولية متناسقة ذات قيمة وظيفية دلالية، سنذكرها بعد تبيان إحصائية للحروف التي وردت في النص.

جدول الحروف التي وردت في نص "سفوح الكلمات والدمع النازل".

ت	الحرف	التكرار	ت	الحرف	التكرار	ت	الحرف	التكرار
1	أ=الهزه	299	10	ف	45	19	ه	14
2	ل	146	11	ق	43	20	ص، ط	13
3	ي	130	12	ك	37	21	خ	11
4	ت	90	13	ح	36	22	ز، ظ	8
5	م	81	14	د	34	23	ث	7
6	و	79	15	ن	33	24	ض، غ	6
7	ع	60	16	س	31	25	ذ	5
8	ر	57	17	ج	25	26		
9	ب	50	18	ش	24	27		

من ملاحظة الاعداد الوارده في الجدول وتحليل المعدلات المتحققه لتكرار الحروف في القصيدة تتضح رؤية الوظيفة الدلالية وقيمتها، فالقصيدة تتألف من 1388 حرفا موزعه على 87 سطرا شعريا، علما ان الاحصاء شمل العنوان بوصفه عتبة النص الأولى.ولغرض تسليط الضوء على الوظيفة الدلالية لا بد من توضيح أعلى معدل تكرار لحرف (أ) مع أقل معدل تكرار لحرف (ذ) من خلال المدرج البياني الاتي:

ومن خلال متابعة جدول الحروف السابق تبين تفوق الاصوات بحسب ترتيبها "الهمزه والالف واللام والياء والتاء والميم والواو"، ونجد هذه الاصوات قد امتلكت صفة (الجهر والهمس)13، وهذا الامر لم يأت من محض المصادفة، إنما كانت هناك أسباب جعلت الشاعر يتجه صوب هذا التنوع.

ويبدو أن السبب الأساس في هذا التوجه يرجع إلى طبيعة الموضوع الذي اعتمد على عنصر المفارقة بين الحلم واليقظة، و لما كان الموضوع موضوع **(الوعظ والاعتبار والتوصية والتذكير)**، كان الصوت حاضرا مجهورا، وحينما لا تجدي تلك الاصوات خلاصا، كان الصوت غائبا مهموسا، وهذا أمر طبيعي إذ كيف يستطيع المرء أن يثبت آهاته وأحزانه وآلامه وتمرده.

وقد جاءت صفة الجهر التي امتلكتها تلك الحروف جعلتها متناسبة ومتلائمة مع القصيدة وما يدور فيها من احداث وما تتضمنه من صور حاول الشاعر اظهارها، من خلال تواجد تلك الاصوات وحضورها بكثره في النص.

لقد حاول الشاعر تحقيق الايقاع الداخلي للقصيدة من خلال عنصرين هيمنا على مقاطع القصيدة بشكل واضح وهما التوازي والتكرار:

أ – على مستوى الحرف:

يعد الحرف العنصر الصوتي الأصغر في التأليف الكلامي واختيار الشاعر لأصوات معينة والتركيز عليها يكشف مدى الطاقة التعبيرية التي تتضمنها الأصوات المهيمنة في النص الشعري 14.

والملاحظ أن الشاعر زاوج بين نمطين من الحروف: فالراء والميم والعين من الحروف المجهورة بينما: الفاء والكاف والحاء والتاء المقبوضة والقاف والسين من الحروف المهموسة. والمزاوجة بين الجهر والهمس لاشك أنه يخدم موضوع القصيدة وقد بينا ذلك سابقا، كما يخدم إيقاعها الداخلي.

إن تواتر هذه الحروف منح القصيدة جرسا موسيقيا يحسه القارئ أثناء قراءته للقصيدة. وغالبا ما تراهن قصيدة النثر على هذا النمط من الإيقاع أمام الوزن الخارجي المألوف في الشعر العربي، لتضمن لنفسها الثبات والاستمرارية لدى الذائقة العربية15. ومن أمثلة الإيقاع الداخلي على مستوى تكرار الحروف الوارد في القصيدة نذكر ما يلي:

قالت القصيدة: التفت إلـــــي، أساقط جمرا جنيا
وفي الأعماق وجد يتبدى مـن ناظريا
ماشيا تشيعك المشـــاعر
وأنا خلفك أتخفى في لوعتيا
لوعتان من اللظى و الخطى

تكرار حرف الألف، و التاء، والياء، و الشين ويمكننا رصد ذلك للحروف الباقية في مواطن كثيرة من النص.

ب – على مستوى الكلمة والعبارة:

وظف الشاعر عنصر التكرار في النص كثيرا ففي المقطع الأول نجد:

تكرار عبارة: (ماذا تقول)، اربعة مرات و كلمة (ماشيا)، ثلاث مرات....

يكشف هذا النمط من التكرار على مبدأ الاختيار والانتقاء الذي يعتمده الشاعر، لعبارة ما وترديدها في أثناء القصيدة، ولفت انتباه القارئ إليها، فهو بذلك يسلط الضوء عليها لتصبح مركز الإشعاع في النص دلاليا وإيقاعيا. فمن خلالها يتحقق الانسجام الإيقاعي الداخلي للنص كما أنها تقوي الإحساس بوحدة النص الدلالية16. وتصبح من الكلمات المفاتيح في القصيدة التي لا يمكن تجاوزها أو التغاضي عنها عند قراءتنا للنص الشعري. وينطبق هذا القول كثيرا على العبارة (قالت القصيده، يا صاحبي) مثلا.

المبحث الثاني: المستوى المعجمي والتركيبي.

1- المستوى المعجمي:

يتوزع النص عبر محورين أساسين يشكلان مركزه وبؤرته وهما:

أ- محور الذات (الشاعر) ومحور (المفارقة)،تتحدد من خلالهما الحقول الدلالية الفنية التالية:

1- معجم الإنسان وما يتعلق به: نفس، عين، أرجلي، يديا، شفتيا، وجنتيك، وجها، مقلتيا، ذكريات، المشاعر...

2- معجم الكتابة: القصيدة، القلم، المحبره، قواف...

3-معجم المكان \ وما يتعلق به: الباب، جدران، الطريق، الشوارع، الدروب، مراعي، السوق، جبل...

4- معجم الطبيعة: الليل- الخريف، فضاء، مساءات، اعشوشبت، مراعي....

لقد اسهمت هذه المعاجم الفنية في رسم الأجواء الدلالية التي كان الشاعر يستمد منها معاني النص . وتميزت هذه المعاجم المتداولة في النص بالتنوع والكثافة الدلالية، فعكست احتياجات الذات الشاعرة، والمفارقة التي يعيشها الشاعر المتمثله في الصراع الحاصل بين اليقظة والحلم وبين الواقع الذي تنتمي اليه الذات الشاعره.

وبالنظر إلى العلاقة بين هذه المعاجم الفنية، نجدها علاقة تلازم 17. فالمكان هو فضاء للإنسان وغيره من الكائنات الأخرى الحية والجامدة، والكتابة ممارسة إنسانية لتأكيد الحضور ومكان البوح في النص18. ولقد حافظت ذات الشاعر على البعد المنطقي لتجاور هذه الدلالات، لتشكل منها بنية عميقة للنص وهي: الذات الشاعرة التي أحست بأنها تعيش أزمة ، وبدت كمن يخوض حربا لا تعرف عواقبها، فلجأت إلى الكتابة للتخفيف من عبء الأزمة، والإقرار بأن البوح هو المخرج من ذلك.

ونستطيع القول بأن المعجم الفني الدال على الإنسان وما يتعلق به، هـو العنصر المهيمن في النص، كما أنه غطى جوانب مختلفة تتعلق بالوجـود الإنساني من الناحية السيكولوجية والنفسية والاجتماعية والحياتية بشكل عام.

2- المستوى التركيبي:

يتشكل البناء التركيبي للنص من نمطين من الجمل: نمط الجملة الفعلية وقيودهـا، ونمط الجملة الاسمية وما يتعلق بها. وفيما يخص النمط الأول، فإنه يكشف لنا عـن الجانب الحدثي في النص وعن الفضاء الزمني الذي يؤطر مستويات النص الدلالية، أما النمط الثاني فإنه يعكس لنا الجانب التقريري الإخباري لما يعتقده المتكلـــم بأنه ثابت ويقيني.ومن خلال نظرة إحصائية لهذا المستوى نجد بأن الجملة الفعلية تأخذ مساحة كبيرة في النص، فقد تكرر الفعل الماضي (33) مرة، والفعل المضارع (30) مرة بينما فعل الأمر ورده (6) مرات. وفيما يخص الجانب الاسمي بشكل عام فقد تكرر ورود الاسم المعرفة (58) مرة، بينما الاسم النكرة تكرر ذكره (33) مرة.

وعلى ضوء ذلك نستطيع القول بأن مقام النص يأخذ طابعا تعريفيا تعيينيا حيث تجليات الموقف الشعوري حول الغرض الاساسي الذي جاء النص من اجله وهو الصراع بين الحلم والحقيقة متخذا من مقولة الأمام علي عليه السلام فلسفة الأجل منطلقا للوعظ والتذكير لذا كان من الطبيعي ان تأتي نسبة الأسماء المعرفة اعلى من نسبة الاسماء النكره ولهذا كانت حاجة الشاعر إلى الاسم المعرف ولعل ذلك يعود ايضا لسياق الموضوع كما ذكرانفا.

كما أن المقام يوحي بوصف معاناة الذات والتعريف بها والتركيز على الجانب الحدثي الذي ولد هذه المعاناة، وهذ ما يبرر ورود الجملة الفعلية التي هيمنت في النص، للدلالة على عدم ثبوت واستقرار حالة الشاعر ويمكن ملاحظة ذلك في قوله:

قالت القصيدة: التفت الي، أساقط جمرا جنيـــا

وفي الأعماق وجد يتبدى من ناظريا

نلاحظ ان الخطاب هنا بين الذات الشاعره والشاعر، وهو موجه من الذات الشاعرة الى الشاعر لا بالعكس، فالقصيدة هي الذات والضمير المستتر في التفت تحيل على الشاعر، ومجمل الخطاب في السطرين الشعريين هو اخبار الذات الشاعرة عن مدى الألم والحرقة التي تعانيها تلخصه الكلمات، (جمرا، وجد).

وباستقرائنا لحركية النص نجد الفعل المضارع يأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الشاعر، وذلك تأكيدا لزمن الحضور الفعلي الذي لن يتحقق إلا بالتحام الذات وإمكانية البوح. فالفعل المضارع يجسد حركة التطلع إلى واقع جديد بالنسبة للشاعر قد يتغير رغم تناقضاته فمن خلاله تعيش الذات الشاعرة حالة من القلق لا يمكن ان تستريح الا بالبوح في حضرة الكلمة كي يستريح القلق.

يقول الشاعر في نهاية المقطع الأخير:

سائلا عنك

عن قصيدتك التي توطنت المقبرة

تبحث عن قلم ومحبره

تفتش عن صوت وحنجرة

في هذا الجزء من المقطع تصل الذات الشاعرة الى ذروة القلق والصراع، فما زال السؤال والحيرة دونما جواب، يقول الشاعر:

سائلا عنك

عن قصيدتك التي توطنت المقبرة

هذا الصوت هو صوت الشاعر، الذي يسأل بدوره الذات الشاعره عن ما حققته من نتائج في صراعها، هل لا زال القلق هاجسها، ثم يقر الشاعر بان ذاته (القصيده) لازالت تبحث عنه؟(الذات الشاعره).

ومن الإشارات التركيبية البارزة في النص، وعلى مستوى بنية الضمير نجد ثلاث أنواع من الضمائر تحيل على مرجعية الخطاب داخل النص، وتعمل على تحقيق الربط بين مستوياته الدلالية وهي: ضمير الغائب وضمير المتكلم وضمير المخاطبة والملاحظ أن هذه الضمائر قد توزعت على النص بصورة متفاوتة مما يوحي بقيمة سردية تجلت معالمها في المضمون المحكي، وفي الكيفية التي أدار بها الشاعر العملية السردية من خلال تكرار عبارة: (يا صاحبي) و ومن خلال مؤشرات لفظية توحي بذلك (ايها الباحث عن باب الجواب). وقد ورد ضمير الغائب في هذا المقطع للتأكيد على أن زمن إنتاج النص، يجسد لحظة الصراع والقلق التي عاشها الشاعر. وعندما نستمر في النص نجد ضميري المتكلم والمخاطبة يوجهان مستوى الخطاب إلى نهاية النص، ويحافظان على المنطق السردي الذي اعتمدته الذات الشاعرة خيارا فنيا، لاستجلاء عمق الصراع وقوته وقيمته الشعورية .

المبحث الثالث المستوى الدلالي:

إن دراسة المستوى الدلالي للقصيدة يحتم على الباحث ان يتناول مقصدية النص وأبعاده الدلالية. ويمكننا تلمس تجليات هذا المستوى في قصيدة (سفوح الكلمات والدمع النازل)من خلال عدة محاور تمثل محطات من خلالها يمكن لنا رسم صورة للدلالة العامة(الكلية) للنص.

عنوان النص:

يعد العنوان العتبة النصية الأولى والتي من خلالها يمكن الولوج الى فضاء النص وكشف مغليقه والتعرف على الفضاء الدلالي للقصيدة، لذا يعد الأهتمام به ضرورة منهجية لضبط الشفرات الدلالية الواردة في النص. وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن العنوان في نص قصيدة(سفوح الكلمات والدمع النازل) يحيلنا مباشرة على بنيتين دلاليتين يوجهان مسار القصيدة وهما: بنية الذات الشاعرة المتمثلة" بالدمع النازل " وبنية الصراع والمفارقه والمتمثل بقول الأمام علي عليه السلام والذي تشير اليه "سفوح الكلمات" فما الكلمات هي الا كلمات الامام عليه السلام وما تحمله من بعد فلسفي واخلاقي واجتماعي. والملاحظ أن الشاعر في اختياره للعنوان اعتمد منطق الترميز والإشارة، فجاء العنوان على مستوى بنيته التركيبية جملة تثير التساؤل والتفكير دمع من هذا الذي نزل أ دمع انسان ام هو رمز ؟ ثم الكلمات كلمات من وما نوعها وما علاقة الدمع بتلك الكلمات؟

وقد نجح الشاعر في اختياره لجملة (سفوح الكلمات والدمع النازل)عنوانا لقصيدته، من حيث التوظيف الفني والمعنوي.

الأنسجام الدلالي والوحدة العضوية:

حرص الشاعر على جعل النص عبارة عن وحدات دلالية متعالق فيما بينها، لتحقيق الانسجام والوحدة العضوية وبالتالي الوصول بالقصيدة الى كونها حدث شعوري محدد يعكسه ذلك النص. من هنا جاء في بداية المقطع الأول ومن ضمن القصيدة وليس كعنوان ثانوي، قول الامام علي عليه السلام ليبرز و يحدد مبررات وبواعث إنتاج النص. وبالنسبة للمقاطع النص الباقيه فإنها تستعرض تفاصيل الموقف الشعوري، وتكشف عن تجليات الصراع والقلق الذي يعيشه الشاعر عبر رحلة الحوار الذي صنعه الشاعر في داخل النص حتى يصل الى المقطع الأخير ليعلن لنا الشاعر وعكس التوقع بأنه لازال والقلق يسيران بل ان الشاعر لم يجد صديقا اوفى له من القلق فقد لازمه طوال رحلته في النص تدل على ذلك الأفعال الواردة في المقطع الأخير(...توطنت، تبحث، تفتش) حيث يقول:

عن قصيدتك التي توطنت المقبره

تبحث عن قلم ومحبره

تفتش عن صوت وحنجره

الخاتمة:

تعكس قصيدة " سفوح الكلمات والدمع النازل " وجها من وجوه التجربة الوجدانية التي عاشها الشاعر في تجربته الشعرية المتمثلة في ديوانه "ما دونته نور على خد العذراء" فالديوان عبارة عن قصائد قاسمها المشترك قلق الشاعر والصراع القائم بينه وبين الذات، والقصيدة عنوان البحث خير تمثيل لذلك القلق والصراع الذي يعيشه الشاعر.

فقد استطاع الشاعر ان يصور في قصيدته طريق الصراع الذي يعيشه، في فضاء متنوع في العادات و الافكار والاتجاهات، مستشرفا آفاق المجهول والاحتمالات المفتوحة. وبالتالي فهي تجربة استمدت كيانها من بنية المفارقة والصراع بين الحلم والحقيقه القائم على فلسفة مقولة الأمام علي علية السلام في الأجل وفكرته الفلسفيه، فصنعت بذلك لونا من الشعر القائم على اسلوب الحوار المتعدد الاطراف كـ (قالت القصيده وقال الصاحب وياصاحبي)، الا انها في النهاية حوار يمثل الصراع بين الشاعر والذات الشاعره.

_تنتمي " سفوح الكلمات والدمع النازل " الى ديوان " ما دونته نور على خد العذراء"، وهذا الديوان تجربة ايجابية في مجال الكتابة الشعرية لدى صباح عنوز، وقد نجح الشاعر في كتابة قصيدة النثر، نظرا لا متلاكه القدرة على ترويض اللغة وإخضاع أساليبها لمتطلبات جديدة، ومنطلقات تعتمد فعل التدمير والتجاوز للمألوف الشعري.

ومن خلال تتبعنا للمسار اللغوي للنص، نلاحظ أن مستوياته قد شكلت بطريقة إبداعية جديدة، فعلى المستوى الصوتي، حرص الشاعر على تكثيف الإيقاع الداخلي، لتحقيق الانسجام الموسيقي لقصيدته، وتهيئة الجانب الذوقي لدى

المتلقي – في خضم الشد والجذب الحاصل حول مشروعية قصيدة النثر – ودفعه للإحساس بأن ما يقرؤه شعرا وليس نثرا. وعلى المستوى الأسلوبي والتركيبي للغة النص، اعتمد الشاعر منطق خرق المعرفة النمطية المألوفة لدى القارئ، وذلك عن طريق إنشاء علاقات وانزياحات غير عادية بين الوحدات اللغوية في النص مما يشعر القارئ بالاندهاش والشعور بأنه يواجه معضلة اللغة الجديدة، للدخول إلى فضاء النص، ومسايرة منعرجاته ومقاصده الدلالية والفنية. تِلكم هي قصيدة "سفوح الكلمات والدمع النازل"، عرفناها من خلال البحث كائن لغوي حر، فاعل ومؤثر ومقلق في نفس الوقت، لا يعلن عن نفسه بسهولة.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابراهيم محمد الضرورة الشعرية، دراسة اسلوبية، دار الاندلس، ط2، سنة 1981م.
- بول ريكور، نظرية التأويل و الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، سنة 2003م.
- جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن ايوب، دار توبقال، المغرب، ط 2، 1986
- حماسة عبد المطلب، لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشرق، ط2، سنه1981.
- صباح عباس عنوز، ديوان ما دونته نور على خد العذراء، الدار البيضاء للطباعة، 2005م
- محمد الانطاكي، المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها.
- محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القران، دار الهادي للطباعة، بيروت ط1.
- محمد الخطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب العربي، ط2، 2006م
- محي الدين صبحي، دراسات روؤية، دمشق، وزارة الثقافه، 1987م.
- نصر حامدابو زيد، اشكالية القراءه واليات التأويل، ط3، القاهره
- هانس ج، غادمير.مدخل الى اسس فن التأويل، تقديم وترجمة: محمد شوقي لزين، مجلة فكر ونقد.

الهوامش:

1-ينظر، نصر حامد ابو زيد، اشكالية القراءة واليات التأويل، ص49.

2- ينظر، بول ريكور، نظرية التأويل و الخطاب وفائض المعنى، ص105-107.

3- ينظر، المصدر نفسه، ص105-107.

4- ينظر، هانس ج، غادمير. مدخل الى اسس فن التأويل، ص85.

5- ينظر، نصر حامد ابو زيد، اشكالية القراءة واليات التأويل، ص49.

6- صباح عباس عنوز، ديوان ما دونته نور على خد العذراء، ص9، الدار البيضاء للطباعة، 2005م

7- ينظر، جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ص 230

8- محمد باقر محمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج1، ص89.

9- سورة اية

10- محمد باقر محمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج1، ص89.

11- التناص: هو ذلك التقاطع داخل النص لتعبير(قول) مأخوذ من نصوص اخرى(وانه) النقل لتعبيرات سابقه او متزامنه. للمزيد برجاء ينظر: تحليل الخطاب، براون(ج، ب)و ج يول، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، د ط، ص102-99، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1988م.

12- ابراهيم محمد الضرورة الشعرية، دراسة اسلوبية، ص76-99

13- محمد الانطاكي، المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها، ص27

14- محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القران، ص164، ط1.

15- حماسة عبد المطلب، لغة الشعر، دراسة في الضروره الشعرية في هذه الدراسه حاول حماسه ان يقدم الكثير من الاجتهادات حول الضرورة الشعرية.

16- محمد الخطابي، لسانيات النص، ص108.

17- المصدر نفسه، ص250.

18- محي الدين صبحي، دراسات رؤوية، دمشق، ص28.